عين المدينة

نبنيـــها معاً

في المدينة...
- أمريكا تقرع طبول الحرب ص2
- شبان سوريون في بيروت ص4
- حفلة الموت في المـــعضّميّة ص7
- فارس القادسية من البوكمال ص8
- التجمعات الشبابية بدير الزور ص10
- الباب: من الثورة إلى التحرير ص11
- وجهتا نظر في الطائفية ص14-15
- نساء للتاريخ ص18

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

عين المدينة | العددان (10-11) | 16 آب - 1 أيلول 2013

مجلة نصف شهرية مستقلة

عدسة كرم - دير الزور

واقـتربت النهاية واقترب النصر

إنه اليأس هو الدافع الرئيسي في تمّني الضربة الدولية لنظام بشار الأسد، وإنها الرغبة بالخلاص من هذا الكابوس الذي طال أمده فوق ما يطيق الكائن البشري احتمالاً للكوابيس.

فالسوريون في وضع مأساوي جداً. وتبدو هذه الضربة لهم إسعافاً في اللحظات الأخيرة، من مجتمع دولي تثاقل كثيراً في إنقاذهم، وتفرّج طوال سنتين ونصف على مهرجان الموت السوري المفتوح، والتهجير المفتوح، والاعتقال المفتوح. وأمام الموت والتهجير والاعتقال تسقط كل اعتبارات الوطنية والسيادة والاستقلال، وخاصة عندما تستهدف هذه الضربة الطرف الذي هدرها وأسقطها دون أن يرفّ له جفن. فبشار الأسد لم يعد رئيساً لسوريا، وقواته لم تعد جيشاً وطنياً. ولم تعد الدولة السورية، وعلى يد بشار وحده، دولة مستقلة. فنحن أمام سلطة احتلال إجرامية كاملة المواصفات. ونحن أيضاً أمام خيارين لا ثالث لهما؛ إما الموت في جحيم السلطة الأسدية والاختناق بهوائها الأصفر القاتل، وإما الحياة، وبأي وسيلة كانت. فلا قيمة تعلو في سلّم القيم البشرية فوق قيمة الحياة، تلك التي أزهقها سفاح القرن الحادي والعشرين المجنون لمئات الآلاف من السوريين، وجعلها في عيون كثير ممن تبقى منهم شيئاً لا يطاق. ومن حق هؤلاء أن يفرحوا بيوم خلاصهم القريب، ومن واجبهم أيضاً أن يطمئنوا سوريين آخرين . ليسوا من الشبّيحة . أنهم لن يظلموا أحداً كما ظلمت عائلة الأسد كل أحد، وأنهم محكومون بمنظومة أخلاقية لا تحاسب وازرة بوزر أخرى.

أمريكا تجهّز قواعدها وروسيا تدير ظهرها والعالم ينتظر
ضربة أمميّة مزدوجة... تبدأ بتخلي الحليف وتنتهي بقصف مواقع النظام

هيئة التحرير

لم تختلف مقوّمات الحراك السياسي العالمي تجاه القضية السورية من حيث المبدأ، فما شهدته وزارات الخارجية وصالات المؤتمرات الصحفية والبرلمانات الأوروبية والأمريكية خلال الأيام الماضية، هو ردّة فعلٍ على جريمة جديدة للنظام. وكما كان السيناريو في العامين السابقين، يرتبط تطور حضور الملف السوري على مجمل طاولات الدول الكبرى بممارسات النظام السوري الإجرامية، والتي كان أهمها وآخرها الاستخدام الواضح والفاقع للسلاح الكيماوي على الغوطتين الشرقية والغربية، في ظلّ حضور لجنة التحقيق الدوليّة التابعة للأمم المتحدة في دمشق.

وما إن توصلت القيادة الأمريكية إلى وضع مشروع الضربة العسكرية للنظام السوري، بالتوافق مع مجموعة من الدول الأوروبية، التي اختلفت آراء بعضها ما بين التريث والانسحاب والتضامن؛ حتى بدأ الحليف الاستراتيجي للنظام السوري بالتقهقر، على اعتبار أن الجدية الأمريكية في قصف المواقع العسكرية السورية واضحة، هذه الجدية التي عادة ما تجبر الطرف الآخر على الاعتراف والوقوف على الهامش، وهو ما عبّر عنه وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف بأن بلاده لن تتدخل عسكرياً للدفاع عن سورية. وهو ما تلقته القيادة السورية برضا وقبول اضطراريين بعد أن هللت لحليفها الروسي، والإيراني كذلك، عبر عامين، وسلّمته مقاليد حكم دمشق دون أن يرفّ لها جفن.

أوباما "صاحب القرار"

اختلفت أسلوبية أوباما في إعلان عزمه على توجيه ضربةٍ عسكريةٍ لسورية، فقد تجاوز ما كانت تقع فيه الإدارات الأمريكية السابقة من مطبّات قبل إعلانها أية حرب. فقد ترك اليوم للمؤسسات الإعلامية والمنظمات السياسية الأمريكية حرية تداول الضربة، ووظّف مؤسساتٍ معينة لتسويقها، فأصبح خيار الحرب قضية مطروحة أمام المجتمع الأمريكي ككل. وتنتظر وزارة الدفاع قرار أوباما ببدء الضربة، فيما أجّل قراره أو تحديد الموعد وسواه من التفاصيل إلى أن تصبح ما تسمى "طبول الحرب" رنانة في مختلف الولايات المتحدة، ليهيئ بذلك خلفية واضحة للقرار العسكري وبدء الضربة.

إقبالٌ وإدبارٌ أوروبيّان

كان اختلاف الحماس الأوروبي تجاه الضربة، وإعلان المشاركة أو عدمها، تابعاً بالفعل للبرلمانات الأوروبية من جهة، ولتراخي الأنظمة الأوروبية في القرار من جهةٍ أخرى. ففرنسا كان من المرجح أن تكون في مقدمة الدول المشاركة، إلا أن تصريحات مسؤوليها تتراوح . وحتى الآن . بين من يؤيد الضربة ومن يقف في وجهها، خاصة في ظل تسويق تفاقم الأزمات الاقتصادية المتلاحقة. أما بريطانيا . والتي وقفت في البداية في صف الضربة . فقد فشل رئيس وزرائها ديفيد كاميرون في إقناع مجلس العموم بوجهة نظره.

تركيا.. شريكٌ واضحٌ

كان من المتوقع بمكان أن تكون الإدارة التركية في مقدمة المشاركين بأية ضربة عسكرية تستهدف النظام السوري، خاصة في ظل أثر أي عملٍ عسكري على الجار التركي من جهة، ولاحتقان القيادة التركية من النظام السوري الذي يحاول تمرير مجمل أمراضه عبر الحدود إلى تركيا من جهةٍ أخرى، سواء عن طريق تشجيع تنظيماتٍ مسلحة، أو الإسهام في خلق أزمات اقتصادية، أو "بلطجة" مؤيدي النظام السوري داخل الأراضي التركية.

القرار السوري

كان أوضح تصرف والأكثر توقعاً هو ردة فعل النظام السوري، المترواحة ما بين بكائيات مؤيديه وهروبه من الواقع، وسحب قواته من المراكز الكبرى، وتسوّل التأييد الدولي وحلفائه الإقليميين بعد لحظة التخلي العامة. وكما هي طبيعة هذا النظام في دفاعه المستميت عن القصر الجمهوري، أوعز إلى وسائله الإعلامية برفع مستوى التشبيح المختلط بالدموع، وتصوير الضربة على أنها استهدافٌ للمقاومة والصمود الخرافيين، وتدميرٌ للشعب السوري.. الشعب الذي بات يحلم بيوم لا يتعرض فيه لقصف من السلاح الوطني، والذي يرتجي أي حلٍ سريع لوقف آلة القتل أولاً، وتجميد قدرات القطعات العسكرية التي تستهدف مجمل الجغرافيا الوطنية بأكثر الأسلحة عشوائية وتخلفاً، من البراميل إلى قذاف الهاون.

النظام يفشل في اقتحام الغوطة الشرقية... ويختنق في حلب تقدّمٌ للحرّ في الشمال.. وهدوءٌ في مختلف الجبهات الأخرى

هيئة التحرير

لم تتمكن قوات الجيش النظامي من تحقيق أهدافٍ، ولو مرحلية، بعد الضربة الكيماوية على الغوطتين الشرقية والغربية. فالإبادة الجماعية، التي ارتكبها في عدة مناطق، كانت بالأساس خطوات تمهيدية لاقتحام المناطق المحررة. فقد أتبع الضربة الكيماوية بهجماتٍ سريعة وقصفٍ مركّزٍ على المعضمية وداريا من جهة، وعلى جوبر وسائر الغوطة الشرقية من جهة أخرى. إلا أن هذه المحاولات لم تختلف عن سابقاتها بعودته أدراجه دون أن يحقق تقدماً على الأرض.

واستمر القصف اليومي بكافة أنواع الأسلحة على الريف الدمشقي، في محاولةٍ لخلق منافذ ومحاور جديدة يمكن أن تتسلل منها قوات النظام إلى العمق. إلا أن الجيش الحرّ لم يكتفِ بسدّ تلك المنافذ، بل حوّل المعركة في أكثر من مرحلةٍ إلى المتحلق الجنوبي قبالة مركز العاصمة، ليشهد عمليات تقدم واستهدافٍ للأرتال التي تنوي التوغل في الغوطة.

جبهة الشمال "المعركة المستمرة"

شهدت معظم جبهات سورية برودًا في الاشتباكات خلال الأيام الماضية، بانتظار القرارت الدولية وتوجيه الضربة العسكرية إلى النظام السوري. إلا أن جبهات حلب كانت الأكثر استمرارية في العمل الميداني، فكانت السيطرة على خناصر، وقطع الطريق الدولي، وخنق قوات النظام داخل عاصمة الشمال، هي الخطوة النموذجية التي نجح الجيش الحر في تحقيقها. مع العلم أن خناصر هي المنطقة الأكثر أهمية وحيوية لقوات النظام، ومركز التجمع الأكبر الذي كان يسيّر الدوريات اليومية حول مراكز الجبهات، ويقصف القرى المحيطة.

بينما برزت إدلب كحالةٍ انتقاميةٍ جديدةٍ لطيران النظام، بعد مجمل خسائر جبهات الشمال، فتتالت المجازر اليومية في مدينة أريحا التي دمّر حتى الآن أكثر من 80 بالمئة منها خلال أيام. وشهدت غارات جوية متتالية وقصفاً مركزاً، بعد أن كانت أكثر المدن هدوءاً في المحافظة، التي لم يتبقَّ للنظام فيها سوى عدة مراكز قصف وتجمع، مثل وادي الضيف ومعمل القرميد ومعسكرات الجازر، التي تتعرض لهجوم يومي من قبل الجيش الحر، والتي لا يستطيع النظام حمايتها إلا بالتغطية الجوية. وهنا من الجدير أن يذكر أن محافظة إدلب هي أكثر المحافظات التي يستخدم فيها النظام سلاح الجو ويتهيب المجابهة البرّية.

عدسة كرم | خاص عين المدينة

برود جبهة الساحل

كان من الطبيعي جداً أن يركز الجيش النظامي وقوات الدفاع الوطني والشبيحة النسبة الأكبر من جهدهم على ردّ هجمات الحر في شمال اللاذقية، واستعادة القرى المحرّرة. إلا أن استعادة غالبية تلك القرى خلال الأيام الماضية لم تكن وفق مخطط شامل منظم، بمعنى أن الجيش النظامي لم يستطع إيقاف نفوذ الحرّ في جبهة الساحل، أو استعادة المراصد كاملة، أو إيقاف تحركات قوات الحرّ في جبل الأكراد وسلمى وجبل التركمان. وتشير المعلومات إلى أن برود جبهة الساحل خلال الأيام الماضية ليس سوى مرحلة عارضة تجدّد فيها قوات الحرّ انتشارها من جهة، وتسلّح العناصر من جديد. خاصة بعد خلافٍ بين مجمل الكتائب العسكرية والهيئات المدنية العاملة في الساحل مع المجلس العسكري وقيادة الأركان بسبب نقص السلاح، وهو الخلاف الذي تم تجاوزه بإعادة تزويد الجبهة بالسلاح استعداداً للمرحلة القادمة التي ستتضمّن فتح جبهاتٍ على عدة مناطق في محيط اللاذقية واستعادة المراصد من جديد.

الوسطى والشرقية... الحفاظ على الوضع الراهن

تهدأ جبهات المنطقة الشرقية بعد مجموعة من المعارك في دير الزور، والتي حقق فيها الجيش الحر تقدماً كبيراً داخل المدينة، خاصة في سيطرته على حي الحويقة ذي الأهمية الاستراتيجية الكبرى.

وفي المنطقة الوسطى شهدت حمص هدوءاً واضحاً، مقابل اشتداد المعارك في ريف حماه الشمالي والشرقي، في محاولةٍ من قبل جيش النظام لاستعادة مجموعةٍ من القرى كان الجيش الحر قد سيطر عليها ضمن معركة "القادمون" التي تحقق تقدماً شبه يومي، خاصة على صعيد الريف الشرقي للمدينة.

شارع الحمرا.. نقطة التلاقي الحميم للسوريين في بيروت

رامي عبود | بيروت

مقهى تاء مربوطة من الداخل

(إذا مضيّع سوري بتلاقيه بالحمرا)

إنها الجملة الأكثر شيوعاً بين اثنين، أحدهما يبحث عن شخص عزيز في بيروت، والآخر يظن نفسه خبيراً بمزاج الشعب السوري.

وفعلاً، فإن هذا الحيّ البيروتي الشهير مقصد كل سائح يأتي إلى لبنان. وإن كان السوري في أوضاعه الإنسانية الراهنة لا يصنّف بين السوّاح، لكنه عشق المكان وصار من أشد رموزه مرحاً وإيلاماً. فالحيّ الواصل بين وسط بيروت والبحر يعدّ عصباً حيوياً وسوقاً نشيطة تكثر فيها المكاتب التجارية ومحلات الألبسة والصرافة والمصارف والمطاعم والفنادق الراقية والاقتصادية والشقق المفروشة للإيجار. فما يحتاجه السوري الغريب يجده في متناول يديه، وليس بحاجة يومية للتجول خارجه، بغية التقنين في تكاليف سيارة الأجرة المرتفعة، ولئلا يقع تحت مساءلة عناصر حزب الله المتمركزين عند مداخل الضاحية الجنوبية وما يحيط بها. وهكذا شكّل شارع الحمرا شعوراً بالأمان لدى القادمين إلى بيروت بغية العمل، والهروب من بطش الأسد، والعبور إلى مكان آخر. ولقربه من الجامعة الأمريكية بات مكتظاً بالطلبة والشبان من الفئات العمرية الصاعدة الذين يبحثون دوماً عن مقهى يجتمعون فيه ليتبادلوا أطراف الحديث، فاستقبل الحي مزيداً من شباب سوريا..

يقول محمد (لبناني/ صحفي): «تعرفت كثيراً، في الآونة الأخيرة، على عدد لا بأس به من السوريين. نسبة ساحقة منهم يعّرف نفسه على أنه ناشط. واستغربت، بصراحة، من هذا العدد الكبير من الناشطين خارج سوريا. فهناك من يقول إنه ناشط إعلامي وآخر في الصعيد الإغاثي. وهم في النهاية شباب متحمس فقدوا توازنهم في بلادهم وجاءوا يعوّضون الأمر في بيروت».. وبالفعل، فإن أكثر ما ينشط به هؤلاء هو وجودهم في مقهى تاء مربوطة الذي يقدّم خدمة الإنترنت بشكل مجاني، مما يساعدهم على التواصل مع أهلهم وأصدقائهم في سوريا، ويسمح لهم بتنظيم وقفات تضامنية مع الشعب المظلوم، كمسيرة الشموع في ساحة الشهداء إثر مجزرة الكيماوي الأخيرة في الغوطة الشرقية. كما لا ننسى أنّ المقهى ذاته يغلب عليه الطابع الثقافي، كوجود مكتبة على جدرانه، وإعلانات عن فعاليات فنية متعددة، ووجود صالة قراءة في الطابق العلوي. ويتسنى لمرتاديه تناول الوجبات الغذائية المتنوعة والمشروبات الكحولية وغيرها بأسعار رخيصة نسبياً. وبعد ساعات من التلاقي بالأصحاب وكتابة البوستات على الفيسبوك في هذا المقر، يقوم الناشط السوري بجولة في شارع الحمرا. يمرّ بشاعر كان يكتب في صحف النظام الرثة، يراه قابعاً عند أحد السلالم يتسول من سوري لآخر ثمن كأس من العرق اللبناني. فلا يأسف لوضعه مثلما يأسف لتشرد العديد من أطفال سوريا بين هنا وهناك، يبيعون الأزهار والسجائر. يشتري فطيرة من الجبن من مطعم بربر ويمنحها لسيدة سورية بان على وجهها الإعياء، فإذ به يصل إلى المقر الثاني، حانة مزيان. وهناك يلتقي بأصحاب النفس اليساري المتأزم من مراهقين فلسطينيين ولبنانيين، وسوريين يدّعون التخرج من معتقلات النظام القمعية. فيشربون نخبهم على أنغام الشيخ إمام وسميح شقير والرحابنة. ويحتدّ النقاش بينهم إزاء مسؤوليتهم عما يجري في سوريا. فترى أحدهم يضع اللائمة على الثورة التي غيّرت مسارها السلمي ورضيت بالجهاد مخرجاً، وآخر يجلد نفسه قائلاً: «لو لم نغادر سوريا لما وجدت جهاديين من جنسيات مختلفة يقاتلون بجانب الجيش السوري الحرّ». إلى أن يتدخل عازف عودٍ رديء ليعيدهم إلى واقعهم، إذ لا قدرة لهم على سماع صوت انفجار فكيف بخوض حرب. حينئذ ينضمّ الجميع إلى جوقة الفرح، بمن فيهم الوافدين الجدد إلى الحانة، الذين يشكّ بأمرهم جميع من حولهم على أنهم عناصر مخابرات جاءوا يستقصون عنهم.

تتعقد أزماتهم، لكن الحنين إلى الوطن الجريح يظل الحلّ الوحيد لجيل لم يكن يحلم إلا بدولة تضمن له حريته وكرامته. وفي ظل انغلاق علاقاتهم الاجتماعية لأسباب أمنية، يبقى شارع الحمرا يلمّ شملهم ويكوّن بادرة أمل يومية يعيشونها بألفة تذكّرهم بأسواق دمشق وليالي حلب وبطولات حمص وتضحيات دير الزور.

ولـدي المعتقـل... علـى يـد أقـرب النـاس!

سمر شمس الدين

لم يـدر في خلـدي يومـاً أن مـن أكرمنـاه وقدّمنـا لـه الكثـير.. حتـى الحمايـة والأمـان في وقـت كان فيـه ملاحقـاً خائفـاً..
أن تأتي اللسعة الأوجع منه.. مفرغاً سمّه في أغلى ما نملك.
كان اسمه موجوداً في كل القوائم السود التي وزعتها التنسيقيات.. على مرّ شهور الثورة الأولى. وأكّد كثيرون أن يده ملوثة بدماء الكثير من الثوار، فهو من "العواينية" المعروفين، لكننا لم نصدّق كل ما قيل. ليس هذا فحسب، إنما وفّرنا له المكان الآمن البعيد عن أيدي الجيش الحر كيلا يقتصوا منه يوماً.
وعملنا على تبييض صفحته السوداء... وكدنا نحصل على نتيجة مرضية، لولا جريمته النكراء التي كشفت المستور وبيّنت لنا أنه متحللٌ من كل الضوابط الأخلاقية والإنسانية. وهو شأن كل عوايني باع نفسه للشيطان.

❖ ❖

لم يكن محمود يوماً إلا ملاكاً طاهراً نذر نفسه لما يرضي الله.
نزحنا وإخوته من حيّنا الحلبيّ الصامد "صلاح الدين"، إلى المناطق التي يسيطر عليها النظام، هرباً من قصف طائراته ومدفعيته، وأبى محمود الرحيل.. كان قد انضم إلى مجموعة تعمل في الإغاثة ومساعدة من بقي في الحي على تأمين بعض أسباب الحياة.
كان ولدي، ككل الشباب المتطوعين هناك... بلسماً لجراح المنكوبين.. يصل الليل بالنهار. يتألم.. ويبذل الجهد في سبيل العون والتخفيف عنهم.. إخوته وأبناء حيّه الصامد. وكلّما طلبت منه البقاء معنا.. عند كل زيارةٍ لنا.. لإخوته وأخواته... كان يقول: لستِ بحاجةٍ إليّ يا أمّ. هناك من يحتاجني في الحي أكثر. الموت هناك يا أمي...في الطرقات.. على الأبواب... الشبابيك.
أحاول أن أخفف من ثقله هناك يا غالية. كل الأمهات هناك يحتجنني. الكثير من الأطفال هناك.. أحبّهم.
هم أخوتي.. وعليّ عونهم... والوقوف معهم... الحياة قاسية هناك.. وأنا أقدّم ما أستطيع تقديمه... أصمت كل مرة.. وأحب ولدي أكثر.

❖ ❖

. اشتقنا لمحمود يا خالة. لمَ لا يأتي؟
. كان هنا الأسبوع الماضي
. لم أره... أوصاني أن أجهّز له بعض الأوراق.. يا ليت تخبريه...
ألحّي عليه بالقدوم يا خالة... عندي له مفاجأة كبيرة سيفرح بها.

❖ ❖

في الصباح الباكر كان ولدي بيننا.. كعادته كل مرة، يجلس ونحن نحيط به على شكل دائرة. يروي ما مرّ به هناك.. القصف.. الموت.. الدمار... والأطفال.. مقالبهم. قصص الشيوخ والعجائز.
وبطولات إخوته في الجيش الحر.. تضحيات أصدقائه في الجمعية الإغاثية التي تطوّع بها. وكان أخوه الأصغر يغفو على فخذيه النحيلين حينما هب واقفاً مبهوتاً..وهبّ معه الجميع...
الأبواب تكاد تنخلع من شدة الطرق والدفع..
. سلّم نفسك محمود.. البيت محاصر.
. سامحك الله يا أمي. وقعت على أذني كزوبعةٍ هزّت كياني وارتميت مغشيّاً عليّ.

❖ ❖

لا زلت أنتظر محمود.. طالت غيبته كثيراً. ومازلت أبحث عن ذاك الـ"عوايني" لأنظر في عينيه الغادرتين.. الخائنتين.
وأقول في سري: كم هي جميلة عينا ولدي محمود!

الحصبة

الدكتور سامي الحمد

من الأرشيف الطبي لمشفى بقرص الميداني

الحصبة هي مرض فيروسي انتقالي حاد ومعدٍ، يؤدي إلى مضاعفات قد تكون خطيرة في بعض الأحيان. ويعدّ هذا المرض من أكثر الأمراض انتشاراً في سن الطفولة بصفةٍ خاصة، ولكنه قد يصيب الكبار أيضاً، ويكون بدرجة خفيفة إذا كانوا ملقّحين، وبدرجة شديدة في حال عدم اللقاح. وقد يؤدي إلى إسقاطات عند الحوامل. وينتقل المرض من شخص إلى آخر عن طريق العطاس والسعال والاحتكاك المباشر مع المريض، لذا يجب عزل المصاب.

ويُعدّ الطبيب المسلم أبو بكر الرازي أول من عرّف مرض الحصبة وميّزه عن مرض الجدري. وفي بداية الستينات من القرن الماضي قامت مجموعة من العلماء بإنتاج لقاح للحصبة يُعطى في نهاية السنة الأولى من العمر، أدّى إلى تراجع المرض بشكل كبير في معظم الدول.

كان هذا اللقاح يُعطى في كافة قرى ريف دير الزور، ولكن، نظراً لما يتعرض له هذا الريف من قصفٍ ومعارك وحصار، أدّى ذلك إلى انعدام أخذ اللقاح في غالبية القرى، مما أدّى إلى عودة المرض، فأصبحنا نستقبل عشرات المصابين يومياً. وفي مشفى بقرص الميداني، والنقاط الطبية التابعة له، بتنا نستقبل عوائل بأكملها مصابة، فهذه العوائل تكون لاجئة ولا يمكنها عزل المريض. كما أننا نستقبل عوائل مصابة من البدو، الذين أجبرتهم ظروف الجفاف والغلاء على الاستقرار في محيط قرانا. وبما أن غالبيتهم لم يتلقّ لقاح الحصبة، كانت فرص إصابتهم بالمرض كبيرة.

تظهر أعراض المرض بعد مضي عشرة أيام من دخول الفيروس إلى الجسم المصاب، فترتفع درجة حرارة الطفل المصاب بالحصبة لمدة ثلاثة أيام، يعاني فيها من زكام شديد وسعال جاف واحمرار وحرقان بالعينين التي تمتلئ بالدموع وتزداد حساسيتها للضوء. وعند نهاية اليوم الثالث تظهر بقع بيضاء داخل الفم تشبه ذرات الملح، وخاصة على الجوانب الداخلية للشدغين، تدعى بقع كوبلك. وفي اليومين الرابع والخامس يظهر طفح جلدي أحمر اللون، يبدأ خلف الأذنين ثم ينتشر على الوجه، ثم الجذع، ويغطي أخيراً سائر الجسد.

يتماثل معظم الأطفال للشفاء بعد إصابتهم بالحصبة. وتتكوّن لديهم مناعة دائمة ضد الفيروس المسبّب للمرض. قد يعاني بعض الأطفال من مضاعفات الحصبة، مثل الإصابة بالتهاب الأذن الوسطى أو التهاب القصبة الهوائية أو التهاب الرئتين. كما أن نسبة صغيرة جداً منهم يصابون بالتهاب الدماغ (encephalitis) الذي يمكن أن يؤدي إلى حدوث مشكلات ذات عواقب وخيمة على الطفل المصاب.

لا يوجد هناك علاج معين شاف للحصبة. ولا تنفع المضادات الحيوية في ذلك، فهي مرض فيروسي. ويحتاج الطفل إلى المضادات الحيوية لعلاج المضاعفات البكتيرية، مثل التهاب الأذن أو التهاب الرئتين.

يجب أن يلزم المصاب الفراش طوال مدة المرض. وتعطى خافضات الحرارة ونقط للأنف ودواء ضد السعال. كما تُخفف درجة الإضاءة ويُجدد هواء الغرفة من حين إلى آخر. يجب أن يُكثر المريض من السوائل ويأكل طعاماً مغذياً.

تستعمل بعض الغسولات المتوفرة في الصيدليات لتخفيف الحكّة، وكذلك محلول النشاء والماء. وإذا اشتدت الحكّة فيمكن إزالتها باستخدام مركبات مضادات الهستامين (الحساسية).

من معضّمية الشام...حفلة الموت الكيماوي

أسامة عاصي

بينما كان أعضاء لجنة التحقيق الدولية ينامون في غرفهم الفخمة بفندق الفورسيزنز بوسط دمشق، كانت قوات الأسد تطلق عشرات الصواريخ والقذائف المحمّلة بغاز السارين على بلداتٍ في الغوطة الشرقية والغربية.

كانت صدمةً كبيرة، تلك الصور والمقاطع التي بدأت تجتاح مواقع الإنترنت ابتداءً من صباح الأربعاء، 21 آب الفائت، والتي تظهر المئات من الأطفال والنساء والشيوخ وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة اختناقاً بتأثير الغاز القاتل. لقد أطلق بشار الأسد لغرائزه الإجرامية الموروثة العنان، محرزاً ريادة كونه أول من استخدم سلاح إبادةٍ شاملةٍ في القرن الحادي والعشرين، حين أمر ضباطه على الجبال الشمالية لمدينة دمشق أن يطلقوا قذائف السارين المجهزة مسبقاً باتجاه زملكا وعين ترما في الغوطة الشرقية للعاصمة، والمعضّمية في غوطتها الغربية. وهناك، في هذه البلدات، وقعت أحداثٌ كثيرةٌ وسُجّلت قصصٌ مفجعة، بعدد من ماتوا. وهم، بحسب مراكز الإحصاء والتوثيق المختصة، يتجاوزون ألفاً وأربعمائة شهيد، وأضعاف هذا الرقم من المصابين.

ماتوا دون أن يشعروا بشيء

كان مراد، وهو ناشطٌ من تنسيقية المعضّمية، يسهر كعادته كل يوم ليرصد تحركات العدو القريب على بعدِ كيلومترات قليلة، حين سمع صوت صفارة الإنذار من هناك. أحس بشيءٍ مريب. وبعد دقائق، وفي تمام الرابعة والنصف، سقط الصاروخ الأول. كان صوت ارتطامه مختلفاً عن كل ما سمعه سابقاً، فهو يشبه صوت تكسر الزجاج. ليسمع بعد ذلك الصوت نفسه سبع مرات أخرى، وهي الصواريخ أو القذائف الكيماوية التي سقطت في كلٍ من حي الروضة وحي الزيتونة في المعضّمية. وخلال نصف ساعة كان مراد يقف ذاهلاً أمام ثلاثة جثثٍ لم تكن عليها آثار جراح، ليدرك أنه أمام هجوم بالسلاح الكيماوي، ويبدأ، مع غيره من أهالي المنطقة، عملية إسعافٍ استمرت لساعات عدة. وبحسب قوله في وصف الضحايا: كان البعض "يزبد" وهو شبه غائب عن الوعي، وآخرون تتضاءل حدقات عيونهم لتغدو بيضاء.

يتحدث مراد عن مشهدٍ آخر: ذهبت إلى بيت خالي لأتفقدهم، لأن منزلهم يقع على بعد أمتارٍ من موقع سقوط الصاروخ الأول. دخلت البيت. كان خالي يلفظ أنفاسه الأخيرة، وكانت ابنته وزوجها وأطفالها نياماً، ولم يكونوا كذلك بل موتى، فقد اختنقوا دون أن يشعروا بشيء.

في المشفى الميداني:

لا يتذكر الجميع أن مدينة المعضّمية محاصرةٌ منذ تسعة أشهر. وأن طعام معظم السكان فيها خلال الشهر الأخير يقتصر على التمر والتين المخزّنين من قبل. ولا يعرف الجميع أيضاً أن المشفى الميداني في المعضّمية، والتي استقبلت آلاف الإصابات في ذلك الصباح، لم تكن تملك إلا 400 حقنة من المصل الخاص بالعلاج من الإصابات الكيماوية (الأتروبين)، مما يعني أن كادرها الطبي وقف عاجزاً عن فعل أي شيء أمام فداحة الوضع وهول الكارثة. ورغم ذلك بذل الكادر الطبي والمسعفون المتطوعون جهوداً جبارة في ذلك اليوم أمام هذا الوضع الرهيب الذي ترتبك كبرى المشافي الحديثة في التعامل معه. فخمسة آلاف مصاب في وقتٍ واحدٍ رقمٌ كبيرٌ جداً، وخاصة مع الإمكانات المحدودة في كل شيء. فعلى سبيل المثال، لم يكن خزان الوقود الخاص بمولدة الكهرباء يحوي سوى 18 ليتراً من المازوت، مما يعني توقف جميع أجهزة التنفس والإنعاش، وكذلك توقف مضخة المياه. وغير ذلك من التفاصيل الصغيرة، التي أضافت عبئاً اضافياً على كاهل الأطباء والممرضين، ورفعت أيضاً عدد الشهداء الذين كان من الممكن أن ينجوا من حفلة الموت الرهيبة تلك.

> يقول مراد: أعرف 76 شهيداً فرداً فرداً. أعرف أين ماتوا وأين دفنوا.

حين وصل إلى المشفى، كانت أمام مراد مهمة ثقيلة، عندما طلب منه أحد الأطباء أن يفرز الموتى عن الذين ما زالوا على قيد الحياة، فقام مع بعض الشبان بنقل الذين تأكدت وفاتهم إلى حيز محدد، ومن ثم دفنهم في مقابر جماعية.

فارس القادسية أبو زيد... كليةٌ شهيدةٌ وجسدٌ أسير

عبد الخالق علواني

إنه أبو زيد، بركات المطر، قائد لواء القادسية في البوكمال. الفارس الذي أصرّ على أن يبقى واقفاً في وجه المنايا. الرجل الذي كان له الفضل الأكبر في توحيد كتائب البوكمال تحت راية جيش الله أكبر. كثرٌ هم المقاتلون والشهداء، ولكن لهذا الرجل طابعاً خاصاً، ومكاناً متميزاً في قلوب أهل مدينته.

مسيرة الجهاد

يقول محمود المطر، وهو شقيق الشهيد: كان أبو زيد من أوائل الرجال الذين حملوا السلاح في مدينته، وقاوموا قوات النظام المعتدية عليها. فقاتل إلى جانب إخوانه في كتيبة جنود الحق، ثم أصبح قائداً للواء القادسية في البوكمال، إلى أن استشهد.

ويضيف محمود: تعرّض أبو زيد لإصابة بطلق ناري أدى إلى إعطاب كليته، ثم إزالتها. وكان ذلك عند هجومهم على سرية الهجانة التابعة للنظام في منطقة مضيج في البادية، في الشهر العاشر من العام 2011. ولكنه عاد الى القتال على الرغم من حالته الصحية. يعلّق أحد المقاتلين على إصابة أبو زيد وفقدانه لكليته في تلك المعركة: كان يمازح زواره على فراش المرض بأنه أرسل كليته إلى الجنة، وبأنه سيلحقها حتماً إلى هناك.

رفيق السلاح

في الموقع الخاص بلواء القادسيّة، تتصدر صورةٌ كبيرةٌ للشهيد مدخل البناء، ليعلم الداخل إلى هذا المقرّ مقدار المحبة التي يكنّها هؤلاء المقاتلون لبطلهم الراحل.

ويبدو أن رحيل أبو زيد كان له أثرٌ كبيرٌ على رفيقه في السلاح، الحاج خليل العبد الله، الذي بدت علامات التأثر والفقدان على وجهه عندما أراد الكلام عن الشهيد. يقول الحاج خليل: من أين أبدأ وماذا أقول؟ وسبقت الدموع الكلمات، ثم تابع: كان خلوقاً مرحاً هادئاً محبوباً من الجميع. أما في القتال فهو قائدٌ لا يشقّ له غبار. وهو في المقدمة دائماً، فلم نر كإيثاره على نفسه. كان شديد الحرص على المقاتلين معه. ولا يحسّ الشباب أنهم يتعاملون مع قائدٍ، إنما يعتبرونه أخاً كبيراً لهم.

استشهاده

في الشهر الخامس من العام 2013، وبينما كان مقاتلو الجيش الحر، المؤلّف من عدة ألوية من البوكمال، منطلقين بقيادة أبو زيد إلى مهمة قتالية في أعماق البادية، قريباً من منطقة التنف الحدودية مع العراق، تمكنوا خلالها من أسر عددٍ من الضباط والشخصيات المهمة، وغنموا شاحنات ذخيرة وعتاد قادمة من العراق، تعرّضوا لهجوم معاكس في طريق عودتهم، فصمد مقاتلو الحر أمام هذا الهجوم ببسالةٍ منقطعة النظير. وليستشهد أثناء هذه المعركة القائد المحبوب أبو زيد مع رفيقه حسن الراوي، بعد أن صمدا حتى الرمق الأخير.

يقول مأمون عزيز، وهو أحد المشاركين في تلك المعركة: كنا ننظر إلى أبو زيد وهو يقاومهم من غرفةٍ مهدمة الجدران ببندقيته، إلى أن نفذت ذخيرته فاستخدم مسدسه، حتى استشهد بعد أن أمّن انسحاب الكتائب بالكامل. أي أنه، والشهيد حسن، كانا يغطيان لتأخير تقدم قوات الأسد إلينا.

صفقة مبادلة الجثامين

واختطفت قوات الأسد جثماني الشهيدين بعد انتهاء المعركة، واحتفظت بهما في برادات مشفى تدمر، ورفضت خلال شهرين كاملين تسليمهما. إلى أن تمت صفقة التبادل، وبوساطة من الهلال الأحمر، عندما أطلق الثوار سراح ثلاثة جنود أسديين أسروا في تلك المعركة مقابل أن يسلم جثمانا البطلين إلى ذويهما. وهكذا عاد أبو زيد ورفيقه حسن إلى البوكمال، ليدفنا في مقبرة شهدائها.

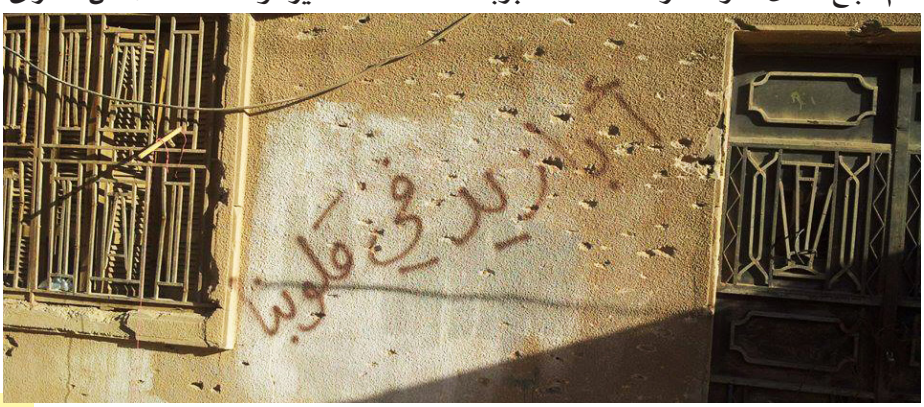

حملة وثّق... كلنا شركاء في حفظ حقوقنا

هنادي عبد الوهاب

كثيرة هي الإفرازات الناتجة عن الحرب الدائرة في سوريا منذ أكثر من عامين، انتهاكاتٌ جرت وطالت كل شيء، انتهاكاتٌ يحرص الثوار على توثيقها لمحاسبة مرتكبيها، عبر آليات مختلفة من بينها "حملة وثق".

تحرص الحملة على تشجيع المواطنين على المشاركة في عمليات الرصد والتوثيق، بما يجعلهم شركاء في المطالبة بحقوقهم وحمايتها، كما يساعد هذا على نشر ثقافة حقوق الإنسان في المجتمع.

تقوم الحملة على توزيع استماراتٍ مخصّصة لتوثيق مختلف الانتهاكات، وتشمل توثيق القتلى والمعتقلين والمفقودين، وكذلك توثيق حالات الخطف، إضافة إلى توثيق الانتهاكات المرتكبة من قبل جهاتٍ غير رسمية. وهناك نشطاء يساعدون المواطنين على تعبئة هذه الاستمارات. كما تشمل الحملة أيضاً الكتابة على الجدران، وتوزيع المنشورات، وإقامة ندوات يشارك فيها نشطاء حقوقيون.

تحت شعار "وثق اليوم كرمال ولادك بكرا" بدأت الحملة بالتعاون بين مركز توثيق الانتهاكات في سوريا ومركز مواطنة للدراسات والإعلام في الرقة، وانتقلت إلى مدينة الميادين بمحافظة دير الزور، ثم إلى مدينة العشارة كمرحلة ثانية. استمرت الحملة لمدة أسبوعين.

وقد قام الناشطون في مدينة الميادين بتوزيع أكثر من 2000 استمارة على المواطنين وعلى أعضاء المجلس المحلي في المدينة، ونشرها في الشوارع والمكاتب. وتم في البداية تجهيز الجدران بطلائها باللون الأبيض لكي تصلح للكتابة، وبعدها تم رسم 8 لوحات جدارية في أماكن تم اختيارها بعناية، كي تلفت النظر في الأماكن العامة وذات الكثافة السكانية الكبيرة. كذلك تم استعمال ملصقات جدارية . جانب المساجد خصوصاً . كي تشاهد من قبل عدد كبير من الأشخاص، وتلفت انتباههم وتشجّعهم على توثيق الانتهاكات التي حصلت في مدينتهم.

يقول السيد رعد الرحبي، منظم الحملة هناك: تمت حملة وثق بالتعاون بين مركز توثيق الانتهاكات في سوريا VDC ومركز التوثيق بمحافظة دير الزور. وإن الهدف الأساسي من الحملة هو دمج ثقافة حقوق الانسان في مجتمعاتنا، والتأكيد على فكرة الحق والعدالة للجميع. وإن التوثيق ليس للمنظمات الدولية، ولا للخارج؛ التوثيق لأجل حفظ حقوق من ضحوا بحياتهم وأرواحهم وأعمارهم وممتلكاتهم. وإن المعلومات التي نقوم بجمعها هي للسوريين جميعاً ولمستقبلهم. عملتُ على تكوين فريقٍ من الناشطين يعمل كمؤسسة صغيرة تقسّم المدينة إلى أحياء، للقيام بالزيارات المباشرة لأهالي الشهداء والمعتقلين، لتسجيل واستكمال المعلومات اللازمة لتوثيقهم بما يتوافق مع المعايير الدولية لتوثيق انتهاكات حقوق الإنسان.

وكذلك يضيف: من المصاعب التي كانت تواجهنا أثناء زيارة أهالي الشهداء أن البعض منهم يكون قد نسي تاريخ ميلاد أو استشهاد ابنه، فنضطر أحياناً إلى العودة إلى دفتر العائلة والأوراق الرسمية لدى العائلة للتأكد من صحة المعلومات. وهذا ما زاد في إصرارنا على متابعة الحملة وتسجيل هذه المعلومات بدقةٍ وحرصٍ شديدين.

التوثيق هو لحفظ ذكرى شهدائنا وكلّ شيء قدموه للبلد، ولنكون كلنا شركاء في حفظ حقوقنا وكرامتنا في وجه النظام المجرم، وأي شخصٍ أو جهةٍ تتشبّه به وبممارساته.

التجمعات الشبابية في دير الزور

عمر ظافر

"خمسون عام والشباب السوري من دون قيمة"، عبارة شهيرة يذكرها ثوار دير الزور، حين صرخ بها أحد شباب المدينة في أولى المظاهرات. هذا الشباب، الذي أرهقته عقود البعث الخمسة وسفّهته وجعلته على هامش المجتمع، عاد اليوم مع فجر الحرية يصنع مستقبلاً أفضل ويرمم حاضراً أثقلته الحرب.

استطاع شباب دير الزور أن يضعوا تلك العقود خلف ظهورهم ليبدأوا من جديد. تجمعاتٌ وحركاتٌ شبابية استقطبت الشباب الثوري في المحافظة، لتضع طاقاته الكامنة في خدمة الثورة ضمن مفهوم التطوع.

عدسة عمر | خاص عين المدينة

"الجميع مع الجميع"

بدأت حركة نشطاء على أيدي بعض الناشطين الذين آثروا البقاء في المدينة المحاصرة، لخدمتها وخدمة من تبقى من سكانها. فاجتمعوا، في بدايات أيلول من العام الماضي، ليشكلوا نواة هذه الحركة. وجّه شباب نشطاء اهتمامهم إلى المجالين الخدمي والإغاثي، في ظل نقص اللجان الإغاثية والهيئات الخدمية وقتها. ومع تحسن الوضع الإغاثي في المدينة، وتشكيل المجلس المحلي، وجّه شباب نشطاء اهتمامهم إلى العمل الإنساني.

ولأنه عدوهم الأول، كما يقول أبو سليمان، أحد المؤسّسين؛ قاموا بإنشاء جلسات توعية من خطر الجهل، فهو الآفة التي ساعدت على تسلط النظام. وبعدها قاموا بإنشاء مدرسة تستوعب 150 طفلاً. وأعدّوا مركزاً رياضياً وآخر ترفيهياً للأطفال، لكي يحظوا بفرصة اللعب بأمان، بعيداً عن شوارع المدينة التي باتت خطرة. وتابع نشطاء تقديم خدماتهم، فاختصوا المرأة بمكتب، أقام دوراتٍ لمحو الأمية، ومحاضرات تثقيفية وطبية.

وتضم نشطاء بعض الفنانين الذين تمكنوا من تزيين ما تبقى من جدران المدينة برسوم الغرافيتي المعبّرة عن روح الثورة. وانتهت الحركة مؤخراً من ورشات تهدف إلى تكريس فكر اللاعنف، بالتعاون مع إحدى المنظمات الأوربية، التحق بها مدنيون وعناصر من الجيش الحر. وفي رمضان المنصرم أعد نشطاء، بالتعاون مع منظمة روافد، مطبخاً رمضانياً لتوزيع وجبات الإفطار.

يفسر أبو سليمان شعار الحركة فيقول: ترمز الطاحونة إلى التحدي، والهلال إلى المرجعية الإسلامية، والألوان المتعددة إلى التنوع. أما هدف الحركة فهو التجمع من أجل خدمة جميع الناس، أو، كما يقول شباب الحركة: "الجميع مع الجميع".

"هيك شبابنا"

أما حركة بلدنا فهي تجمعٌ لبعض الشباب في مدينة الميادين، اجتمعوا على التطوع من أجل النهضة والتطوير. قام شباب بلدنا بعدة نشاطات، أهمها تدوين أسماء شهداء المدينة على الجدران تخليداً لذكراهم، وإطلاق حملة بالتعاون مع مركز توثيق الانتهاكات في سوريا، لتشجيع الناس على توثيق أسماء الشهداء والجرحى والمعتقلين والمفقودين، وأنواع الأسلحة المستخدمة من قبل النظام. ويحضّر شباب بلدنا لمشروع جديد هو تشجير الجزر الوسطية لإظهار المدينة بمظهر حضاري جميل، يعكس التغيير الذي أحدثته الثورة لدى الناس. وتهدف الحركة إلى إيصال فكرة إيجابية عن الشباب السوري، أو، كما اتخذوا شعاراً لهم: "هيك شبابنا".

التغيير والبناء

التغيير غاية أرادها شباب البوكمال، فأنشأ بعضهم ملتقى الشباب للتغيير والبناء، الذي يضم عدداً من شباب المدينة المثقف والملتزم، وهو من أوائل الملتقيات الشبابية في سوريا. قام بتفعيل العديد من النشاطات، أبرزها إنشاء مدرسة لتعويض الأطفال النازحين إلى المدينة ما فاتهم من التحصيل الدراسي. وكان مشروعهم لشهر رمضان الفائت هو إفطار الصائمين من عابري السبيل وممن أدركهم موعد الإفطار وهم على طريق العودة. ويقيم الملتقى حالياً ورشات لتنمية القدرات العقلية للشباب والمراهقين، يقدّمها أحد أعضائه المختصين.

لا يقتصر العمل التطوعي على الشباب، وليس حكراً عليهم، لكنهم الأكثر قدرة على إنجاحه وتطويره. وشباب سوريا اليوم يعرف ما يريد، ويبقى دائماً مستعداً إذا احتاجه بلده.

مدينة الباب... من الثورة إلى التحرير

أحمد طالب

تقع مدينة الباب في الشمال الشرقي لمدينة حلب، على مسافة 38 كم منها. ويقدر عدد سكانها بحوالي 200 ألف نسمة.

لمدينة الباب تاريخٌ قديمٌ يعود، وفق روايات المختصّين، إلى العهد الروماني. ولها أيضاً تاريخٌ آخر بدأ في أسابيع الثورة الأولى، وبالتحديد يوم 18/4/2013، حين خرجت أول مظاهرة في المدينة، لتتلاحق بعد ذلك فصول حكاية الثورة فيها، وتتغير معطياتها شهراً وراء شهر، وصولاً إلى التحرير الكامل والنهائي.

يقول باري، وهو ناشط من تنسيقية الباب، إنه تعرف على رفاقه خلال المظاهرات الأولى التي اندلعت في المدينة. ويتذكر الاعتصام أمام السرايا لإطلاق سراح المعتقلين، لتلاحق الأجهزة الأمنية منظمي الاعتصام بعد ذلك، مما عمّق الروابط بين الناشطين الذين عملوا على تأسيس تنسيقية مدينة الباب التي ما تزال تعمل حتى الآن، بعد أكثر من سنة كاملة على التحرير.

أجبرنا على حمل السلاح

يقول عماد، وهو واحد من مقاتلي الجيش الحر: كنت من أوائل من ركب سفينة الثوار، إذ كنت مدنياً متطوعاً مع الجيش الحر. نحن كنا ضد فكرة حمل السلاح، وكنا نؤيد المظاهرات السلمية، ونحاول أن نوصل رسالتنا. ولكن هذا النظام الطاغي أجبرنا على حمل السلاح، مع أن هذه التجربة مريرة، وتوجد لها سلبيات، ولكننا حملنا السلاح رغماً عنا لندافع عن أنفسنا وعن إخوتنا وبلدنا. كنا ندافع عن ثورتنا بأسلحة خفيفة (بواريد ضغط وبامبكشن) ورغم ذلك كان النصر إلى جانبنا في معظم المعارك، لأننا نقاتل من أجل الحق، والله سبحانه وتعالى إلى جانبنا. بينما جنود الاسد ليس لهم شيء يدافعون عنه سوى كرسي بشار الأسد، ولهذا استطعنا التفوق عليهم والسيطرة على الأسلحة التي كانوا يقتلوننا بها.

يضيف عماد، متذكراً تحرير الباب: بدأت معركة التحرير بعد يوم من مقتل خلية الأزمة، إذ حدثت انشقاقات كثيرة في صفوف عساكر الأسد، ودبّ الرعب والخوف في قلوب الجنود، مما سهّل علينا عملية التحرير التي شاركت فيها معظم كتائب الريف. وسقط الكثير من الشهداء خلال معركة تحرير المدينة، التي استمرت لعشرة أيام، وانتهت بالتحرير الكامل، يوم 29/7/2013.

مئذنة الجامع الكبير في الباب | عدسة أحمد

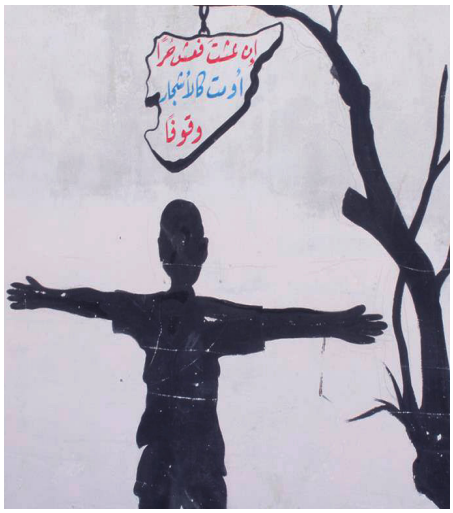

إحدى اللوحات الجدارية في الباب

الإدارة والخدمات

يواجه "المجلس المدني الثوري" في مدينة الباب تحدياتٍ كثيرة، تأتي قلة التمويل في مقدمتها، وخاصة مع المهمات الجسيمة التي يتصدى لها هذا المجلس في الإدارة والإغاثة والخدمات. ورغم ذلك نجح المجلس، وبعد عمل دؤوب، في كسب الثقة، وأصبح هيئة ذات مصداقية في مجتمع المدينة المحلي، وهي النقطة الأهم في عمل أي مؤسسة عامة، كما يقول سامر طالب، عضو المجلس، الذي يؤكد أنهم أحرزوا نجاحاتٍ كثيرة في نواحي عدة. ويفسّر هذه النجاحات بالتخطيط المسبق لكل مشروع أو عمل ولكل مرحلةٍ فيه، مع حشد جميع الإمكانات والطاقات المتوافرة خدمة لهذه المدينة. ففي أعمال النظافة، مثلاً، يعمل المجلس على جباية رسوم شهرية من المحال التجارية وإنفاقها في تأمين وقود آليات النظافة وصيانتها، وكذلك الحال بالنسبة لتشغيل مقسم الهاتف الأرضي، إذ يجبى مبلغ 100 ليرة سورية شهرياً من كل مستفيد من هذه الخدمة.

ويعرض سامر طالب بعض المشاكل الرئيسية التي تعيق العمل، وأهمها نقص الكوادر الجادة، إذ يتحمس المتطوعون في البداية، لكنهم سرعان ما يشعرون باليأس عندما لا تأتي الظروف كما أرادوا أو خططوا، وبالتالي ينسحبون، وفق تعبير سامر.

ويشكو سامر أيضاً من تدخل بعض الجهات والهيئات الأخرى في عمل المجلس، دون أي خبرة أو معرفة بالعمل المدني العام، في محاولة للهيمنة وفرض الإرادة، على حساب المصلحة العامة. وكذلك الحال مع بعض الثوار الذين يتصرفون أحياناً على هواهم، دون التشاور أو الرجوع إلى المجلس.

مركز الطبقة الثقافي: من حصار الرقيب إلى العطب

قيس الرِّقي | الطبقة

عدسة أنس الحردان | خاص عين المدينة

استغرق بناؤه عقداً، وعمل مثله ونيّف. كان الرقيب أكثر من يدخله، مسجلاً كلَّ حركةٍ وسكنةٍ، حتى كاد يشلّه. فالمكان الذي بني على زعم خدمة الثقافة لم يكن في بلاطها إلا في أوقات الفراغ، لأنّ السلطة جيّرته أجيراً عندها بدون أجر. لكنّه استطاع اختلاس لحظات فرح لأبناء المدينة، عندما قدم محاضراته وندواته وعروضه وفنونه.

دخل المركزُ في مرحلة الإنعاش السريري أواخرَ العام الفائت، فلم يعد يسكنه غيرُ الصمت والفراغ. وخرج من الصخب السياسي المفتعل فيه، والذي جُنّد له بغير إرادته، ليدخل في سباتٍ استمرّ أشهراً. هللّ الناس لخلاصه، وخلاصهم والمدينة، من ربقة النظام الذي جثم على صدورهم أمداً. وسرعان ما بات ملاذاً تؤمّه بعض الأسر ناشدةً الحماية بعد أن غادرت مساكنها الجاثمة تحت حمم النيران. لكن نشدانهم للأمن والطمأنينة لم يدم، فقد تلقى المركز ضربة قصمت ظهره، مستهدفاً بصاروخين من طائرة ميغ ، جعلته هشيماً تذروه الريح.

"عندما وقفت أشاهد المنظر هالني كلُّ هذا الحقد الذي مُورس عليه. شعرت أنَّ أبا خليل القباني يموت مرّة أخرى، وأنَّ الحيوات التي أعيشها وأعايشها فيه قد أطفئت قسرياً"... (صمت المخرج المسرحي . والكلام السابق له . زفر بقوة. أشاح بوجهه بعيداً. وبفجاءة انصرف ونحن نلاحقه لمتابعة الحديث، لكنَّ صرختنا ذوت في واد).

"عايشت المسرح عقداً - والكلام لأبي أحمد - أخذني بجماله وجلاله... الخشبة المترامية الأطراف، الجدران المزدانة بالأرابيسك، المقاعد الوثيرة، كلُّ ذلك كان يضفي عليه حضوراً ساحراً. فيه شاهدت عروضاً غنائية ومسرحية لامست حياتنا وهواجسنا. فيه أعيدت إلى الحياة حكاياتٌ وأغنياتٌ جميلة. صحيح أنَّه كان مجّيراً ومصادراً في معظم الأوقات للحراك السياسي المنفصم عن دواخلنا وحياتنا ولا يمثل توجهاتنا، لكننا كنا نتفاعل معه عندما كان الفعل الثقافي يمسّنا".

وعن أهم تجهيزات المسرح حدثنا السيد ع، د: كان من أهم المسارح وأفضلها حتى وقت قريب، فقد أُتمت تجهيزاته الفنية من كل الجهات؛ زُوِّد بأجهزة إضاءة وإنارة، إضافة إلى التوزيع الصوتي. ولا ننسى غرفتي السينما والترجمة الفورية. والأخيرة لم تستخدم، ماتت في المهد. ناهيك عن جهازي متابعة ضوئية، والعديد من الميزات غالية الثمن، وعالية الجودة.

تقول السيدة س، ج: كان المركز عالمنا الجميل. لم يكن بناءً فحسب، بل كان ملتقى أدباء وشعراء ومثقفين، شيباً وشباباً. ثقافات ومشارب مختلفة تنداح وتنصهر في بوتقة خدمة الناس، إمتاعهم، التسامي بمداركهم ومعارفهم. فيه التقينا بقاماتٍ أدبيةٍ وثقافيةٍ أحببناها. القصّ، النقد، السياسة، الدين، الفكر، العزف... كلُّ ذلك كان المحور الذي يجمعنا هناك. كانت الفرجة المسرحية تمتعنا وتعلو بالذائقة الفنية عند الناس. لقد كان بحق صرحاً من جمال لكنه... هوى. ربما استشعروا الخطر المحدق الذي يشكله بعد أن انعتق من إسارهم. وتضيف أيضاً: نشعر اليوم أننا أضحينا في بيداء قاحلة، فعقد الثقافة انفرط وتناثرت حبات سبحته لأنّ ناظمها قد تلاشى.

الطفولة التي كنا نتمنى أن ندّخره لها ليكون حصنها الفني لتطوره، كان لها نصيبٌ فيه، وكان لنا نصيبٌ معها في حديثٍ مقتضبٍ مع الطفلة سعاد.س، التي تقول: كنّا نسرُّ ونحن نحضر مسرحية أطفال. وعندما نصعد إلى الخشبة لنشارك نشعر بأنّنا "طايرين في السما". لكن رغم ذلك سنبنيه يداً بيد.

كان هذا المركز الثقافي، وبغض النظر عما مورس فيه، سواء أوافق الناس جميعاً؟! أم وافق بعضهم؛ شاهداً على حقبة كاملة، بكل تفاصيلها. وبعد دماره سيظلّ شاهداً على مرحلة نعايشها بحلاوتها، ومرارتها التي نتمنى أن تزول. لكننا لا نستطيع الجزم إن كنّا سنفي بالعهد الذي قطعته علينا الطفلة سعاد حول إعادة بنائه، فالمركز الذي قوّضته الطائرة بضغطة زر يحتاج حقبة طويلة ليعاد بناؤه وجيله القادم القادر على بدء مرحلة يكون المركز فيها خادماً للثقافة والناس لا خادماً للسلطة كما سلف، إن كان ذلك متاحاً...؟!

سجينات الأسد الأب...

الدقائق الخمس التي صارت تسع سنوات!

محمد عثمان

من بين مذكرات السجناء في سورية، تقلّ كتابات المرأة. ومن بين أبرز كتب السجينات يحضر دوماً كتاب هبة الدبّاغ «خمس دقائق وحسب! تسع سنوات في سجون سورية»، الذي يروي تجربة صاحبته في المعتقلات خلال أعوام 1980 . 1989.

ويستمدّ الكتاب عنوانه من التطمين الكاذب الذي يقدّمه عناصر الأمن لأغلبية المعتقلين وذويهم، بأن المسألة لن تتعدّى حدود زيارة «الفرع» لخمس دقائق، يشرب خلالها الشخص المطلوب «فنجان قهوة»، ولن يتعرّض لأكثر من سؤال وجواب. وهو ما قاله رئيس المجموعة التي اعتقلت هذه الطالبة الجامعية الحمويّة، ذات ليلةٍ شتائية، من حيّ البرامكة الدمشقي.

وطوال عقدٍ تالٍ ستتنقّل الفتاة بين المعتقلات والسجون، بتهمة الانتساب إلى جماعة الإخوان المسلمين، أو رهينةً عن إخوتها المتهمين بالانتماء إلى التنظيم ذاته. وتتعرّض خلالها لفنونٍ مريعةٍ من التعذيب والإهانة، تبدأ بشتائم مقذعة تتناول الشرف والعرض، يستوي في إطلاقها كبار الضباط مع أصغر السجّانين، وتصل حدّ التهديد بانتهاك الجسد أو حتى الإعدام.

ولكن الحقيقة التي تكشّفت للأمنيين، من أن سجينتهم لا تنتمي إلى أي تنظيم، وأنها لا تعرف بالفعل طريق إخوتها المتّهمين؛ لم تمنع من الاستمرار في اعتقالها، بخلاف الزميلات اللواتي صادف مشاركتهن لها في السكن، واعتقلن جميعاً، بمن فيهنّ والدة زميلة أردنيّة كانت في زيارة ابنتها! أما اعتقال والدة هبة، والتحقيق معها عن مكان ابنها، فهو من باب أولى. وعندما سيُفرج عن الأم لاحقاً، سيقول المقدّم محمد ناصيف خير بك، الذي كان رئيساً لفرع أمن الدولة بكفرسوسة، حيث اعتقلت الأم والبنت، لإحدى السجينات المعترضات: «انظري.. لا توجد أحسن من جلستكن هذه أبداً.. أنتن هنا معزّزات مكرّمات.. ومثل هذا الفرع لن تجدوا! هذه أم هبة أخرجناها فجلست هنا على الباب فترة طويلة تبكي ولا تعرف كيف تتصرف حتى أعطيتها أجرة الطريق من جيبي أنا..».

وبالطبع، كانت الأم ترفض المغادرة قبل أن تعرف شيئاً عن مصير ابنتها، وأحد أبنائها الذي لحق بهم سجيناً في الفرع نفسه، قبل أن تغادر إلى حماة. ثم تلقى وجه ربّها بعد ذلك بعامين، مع جميع أفراد عائلة هبة الذين كانوا موجودين وقتها في المنزل، أثناء مجزرة حماة الكبرى، عام 1982.

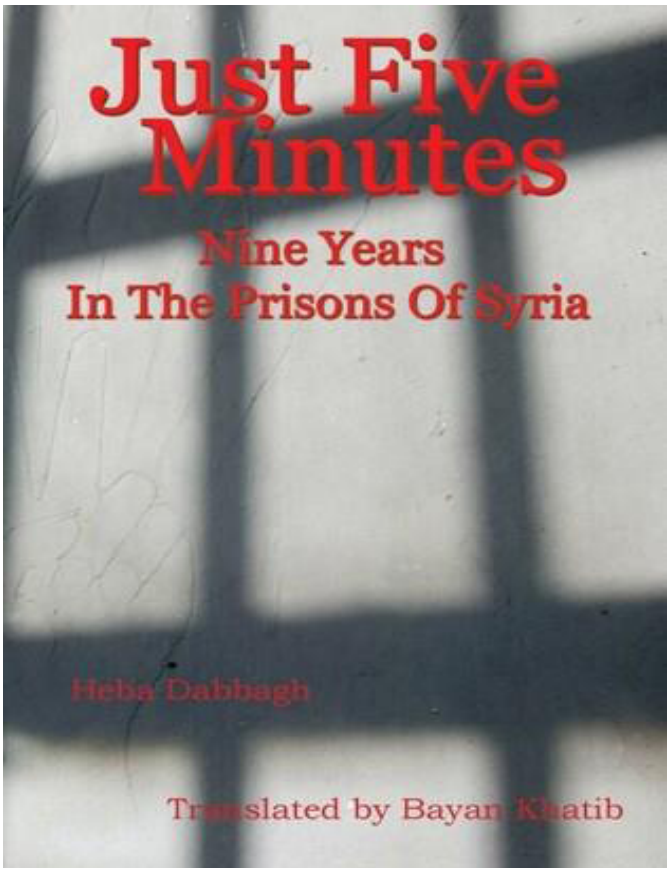

غلاف النسخة المترجمة من الكتاب إلى الإنكليزية

وبعد أن حكمت عليها محكمة أمن الدولة بعشر سنواتٍ من السجن مع الأشغال الشاقة، ستنقل الدبّاغ إلى سجن النساء في قطنا ثم في دوما، وتلتقي بعشرات السجينات وتحمل حكاياتهن المريرة؛ فقد عرّى عمر حميدة، رئيس فرع أمن الدولة بحلب، الحاجّة مديحة من ملابسها وعلقها إلى السقف من يديها المكبّلتين خلف ظهرها. ثم أمر بإحضار أخيها الأصغر الذي لم يتعرّف إليها، ليبلغه حميدة بتشفٍ أنها أخته، فيغمى على الشقيق فوراً. أما عزيزة جلود، زوجة النقيب إبراهيم اليوسف، فكان حميدة يضربها على بطنها وينادي كالمسوس على الجنين يقول له: انزل.. انزل واشهد اللهم إني بعثي! لكن الجنين سلم حتى الإفراج عن أمه، التي وضعت مولودها إسماعيل قبل أن يعتقلوها للمرة الأخيرة وهو معها في شهره الأول أو الثاني، ويبقيا معاً في سجن المسلمية أربع سنوات.. أما مطيعة فكانت معلمة اعتقلت مكان زوجها، إضافة إلى اعتقال والده. وكانت في أواخر الثلاثينات من عمرها وأماً لأربعة أولاد، وخامسهم في آخر شهور الحمل، لكن ذلك كله لم يشفع لها، فأخذوها رهينة عن زوجها، واحتجزوها مؤقتاً في مستوصفٍ تابع للأمن السياسي بجسر الشغور، وهناك وضعت مولودها الذي أسمته «معقل». وبعد ذلك نقلوها والمولود إلى فرع التحقيق العسكري بدمشق، ثم إلى سجن قطنا، الذي دخله الطفل وهو لم يتجاوز شهوره السبعة أو الثمانية بعد.. وخرج منه وعمره خمس سنوات.

وبين نزيلات قطنا كانت أسماء الفيصل، زوجة رياض الترك، الأمين العام للحزب الشيوعي . المكتب السياسي، وهي طبيبة في الخمسينيات من عمرها، أمضت في السجن سنوات، وتركت في نفوس السجينات الإسلاميّات انطباعاً حسناً. ولكن «الحظّ» سيسعف الدبّاغ بلقاء الترك نفسه، عندما أحيلت مرّة أخرى إلى فرع التحقيق العسكري، حيث قضى الزعيم الشيوعي أكثر من عشر سنواتٍ في زنزانةٍ منفردة، ستسمع هبة من الراديو الصغير الموجود فيها انطلاق تكبيرات العيد... لأول مرة منذ سنوات.

وجهتا نظر في الطائفية (1)

في البحث عن جذور التشبيح

معاوية حمّاد

الجولة في عوالم الشبيحة جولةٌ في اللامعقول والفصام والجهل، وهي جولةٌ في العناد أيضاً. فهؤلاء البشر المضطربون الذين فقدوا صوابهم أمام ما يحدث، وتحللوا من كل ضابطٍ أخلاقي وشعورٍ إنساني ومنطق، لا يستطيعون اليوم مغادرة موقعهم الحالي إلى موقعٍ آخر أكثر تعقلاً.

والعجيب في الأمر أن عالمهم هذا قد تشكل دفعة واحدة منذ اليوم الأول للثورة، أو هكذا في الظاهر. وفي الباطن ربما يقال كلامٌ آخر عن أن مؤيّدي بشار الطائفيين كانوا من قبل على هذا الدرجة من التطرّف، كحصيلةٍ لتكوينٍ مجتمعي مستمرٍ منذ عشرات السنين، يجد ذرائعه في وقائع وأحداثٍ تاريخيةٍ قريبةٍ وبعيدة، صحيحةٍ وغير صحيحة. تكوينٌ عدوانيٌ أخفي لسنين طويلةٍ تحت غطاء الوطنية والسياسة والتحليل الطبقي. وأسهمت في هذا الإخفاء أيضاً مفاهيم حديثة تفترض في كل الجماعات البشرية أنها اجتازت عتبات التطور اللازمة لتكون أكثر انتماءً إلى العالم الإنساني الرحب، وأكثر اقتراباً وقبولاً للجماعات البشرية الأخرى، وخاصة الشريكة منها في الأرض والوطن. ذلك الوطن الذي تشكّل في الحالة السورية على عجل، دون السماح لمكوّناته الأولية، وخاصة الأقلويّة منها، بالتعبير عن نفسها وبث شكواها ومخاوفها في نقاشٍ وطني عام ينتهي بعقد شراكةٍ وطنيةٍ حقيقي. وبهذه العجلة القسرية التي أجبرت العلويين، أو النصيريين وقتها، أن يكونوا جزءاً من الدولة السورية خلال تشكلها النهائي، في السنوات الأخيرة للانتداب والأولى للاستقلال، استسلم هؤلاء مرة أخرى لقدرهم، بعد أحلام قصيرةٍ بدويلةٍ خاصة، وقبلوا أن يكونوا سوريين، دون حماسة.

وجاء حزب البعث، واهب فرص العمل للفلاحين الفقراء، وواهب الرتب العسكرية لمرضى الاضطهاد. فأقبلوا عليه كحزبٍ مخلّصٍ وضامنٍ وواعدٍ أيضاً، متجاهلين كل مشاعرهم الانفصالية العميقة أمام إغراء الصفقة التي تحلّ كل المشاكل مرة واحدة. فأغرم فقراؤهم وفلاحوهم بتطبيقات هذا الحزب، الاقتصادية منها والعامة، لتحدث موجات هجرةٍ من الريف الجبلي الفقير إلى المدينة بحثاً عن الحياة الأفضل، وليجتاحوا بذلك مؤسسات القطاع العام الناشئ حديثاً، وليجتاحوا بشكل أوضح المؤسستين الأمنية والعسكرية.

أما المثقفون بينهم فقد وجد الكثيرون منهم في هذا الحزب ضالّتهم النفسية والفكرية، فهو معادٍ بالأصل لما يعادون من قيم وثقافة الأغلبية السنية، وهو معادٍ أيضاً للطبقات العليا في هذا المجتمع، كما يعادونها، ولأسبابهم الخاصة. ومن جانب آخر فإن البعث حزبٌ إنشائيٌّ وبلاغيٌّ في مجمل أدبياته (لم يكن له منظّر إيديولوجي بالمعنى الحقيقي للكلمة. ولم توضع المنطلقات النظرية للبعث إلا في وقتٍ متأخرٍ على وصوله للسلطة، وعلى يد شخصٍ مشكوكٍ في بعثيته). وهو ما يناسب تماماً المستوى المعرفي الذي بلغه هؤلاء المثقفون الريفيون الجدد، الذين يعتبرون الضيعة أجمل من المدينة، والزجليات الطويلة التي تمجّد دالية العنب أرفع منزلة من القدود والموشحات.

لم ينعكس هذا التحسن النسبي في أحوال معيشة العلويين على الوعي العميق لقسمٍ كبيرٍ منهم. فلم يفهموا أن المكتسبات التي حصّلوها بطرق مشروعة، كالخدمات العامة والتعليم وفرص العمل، هي من حقوقهم كسوريين، بل فهموها كهباتٍ كريمةٍ من ابن عمهم السلطان حافظ الأسد. ولم يتعفّفوا عن مكتسباتٍ أخرى غير مشروعة، كالاختلاس والنهب والرشوة، وبأكثر صورها بدائية، بل نظر إليها وعيهم المباشر كأتاوةٍ أو ضريبةٍ يحقّ لهم، وهم رجال السلطان وحاشيته، أن يفرضوها على الآخرين. فليس في قاموس شتائمهم الجادّة أن يُدان الشخص لأنه مرتشٍ، بل يوصف عندها بأنه مستفيدٌ فقط.

وللأسف، عملت كل هذه المعطيات عملها في النفس العلوية العامة . مع وجود الاستثناءات بالطبع . لتزيد من المشاعر الأقلوية وتعزّز الإحساس بالخطر والوحدة والضعف، رغم مزاعم القوة والثقة بالنفس والانتماء. هذه المشاعر التي استثيرت مرّتين في العهد الأسدي، مرة في انتفاضة الإسلاميين في الثمانينيات، ومرّة أخرى في ثورة الشعب السوري الراهنة. وكانت جاهزة، في كلا المرّتين، لتدافع بشراسة، لا عن عائلة الأسد بل عن وجود الطائفة كلّه، ذلك الوجود الذي تورّط بالجريمة، ويدرك في مكانٍ ما من وعيه أنه تورّط. وعليه الآن أن يدافع حتى النهاية.

وجهتا نظر في الطائفية (2)

مجلة سنديان...

مجتمع الساحل بعيونٍ أخرى

يوسف عبد الأحد

تعدّدت وسائل إعلام الثورة، من قنواتٍ فضائيةٍ وإذاعاتٍ وصحافة. وفي هذا الحقل الأخير ظهرت عشرات المجلات والجرائد التي عملت على مواكبة أخبار الثورة عموماً، أو في منطقةٍ محدّدةٍ حيث تصدر. وربما كان من الطبيعي أن تتشابه هذه الصحف، نتيجة اضطرارها لتناول المسائل نفسها، من أخبار القصف، وقصص الشهداء والمعتقلين، وتحليل الوضع السياسي للقضيّة السورية... إلخ. ومن هنا كان طريق التميّز بينها صعباً ويحتاج إلى كثيرٍ من الجهد، وهو ما نجحت فيه بعض هذه الجرائد والمجلات بالفعل.

ولكن طريق «سنديان» كان خاصّاً... فالمجلة، التي تصدر في الساحل السوري، وترفض تلقي أي دعم مادّي أو تقني، أو مشاركة فريقها في دوراتٍ إعداد الإعلاميين في الخارج. نتيجة أسباب أمنيّة وسواها. قد أناطت بنفسها منذ البداية مهمةً عسيرةً جداً، وهي شرح مبادئ الثورة والتبشير بها بين أبناء الساحل، الذين وقع معظمهم تحت تأثير روايات النظام، وأوغلوا في تصديقها إلى درجة كونهم أداته الرئيسية والمعتمدة للقمع. كما محاولة نقل صورة مختلفة. ولو جزئياً. عن الساحل، وبعض أبنائه، للثوار في باقي أنحاء سورية. فالساحل يتنفس أيضاً، على حد تعبير المجلة، التي أعلنت عن مهمتها تلك في افتتاحية عددها الأول، فيما يشبه دليل عملٍ وبيان ولادةٍ. ونقتطف من هذا «المانفستو»:

«من وجعنا من قهرنا، من هون من السنديان العتيق، من الساحل طلعت سنديان. طيب مين نحنا؟ عراعير فورجية خونة، ولا منحبكجية شبيحة مجرمين؟ خيي من الآخر: نحنا معارضة... بس منحبك! منحبك إلك أنتا مو إلو! أنتا السوري شو ما كان توجهك.. بدنا نحكي معك شوي... أخونا المعارض بكل سوريا: يمكن تأخرنا كتير لنحكي... الساحل مو متل ما أنت متخيلو.. ولازم تتعرف عليه لأنه هالمعرفة رح تفيدك كتير لقدام. أخونا المؤيّد (القاعد بالساحل خصوصاً) توجهنا الرئيسي إلك... حابين نحكي معك... نحنا أخوتك وأهلك، نحنا مو "حابين نعيش معك"... نحنا "ما فينا نعيش بلاك"... لنتواصل ونعمل شي يفيدنا كلنا سوا... قول الله».

وخلال ما يزيد على عام من عمر المجلة، التي ظهر عددها الأول في آب 2012، عملت على الوفاء بهذه الرسالة التراجيدية بشتى الوسائل. ففي بابها الثابت بعنوان «خود وعطي» ناقشت «سنديان» أفكار أبناء الساحل العصابيّة عن الثورة، وحاولت تفكيك هذه الأوهام الراسخة الآن، والتي تدفع معتنقيها إلى القتل والموت في سبيل النظام. وعالجت قضية سحب الاحتياط العسكري والتطوّع في جيش الدفاع الوطني، فأطلقت حملةً لرفض الالتحاق بقوات الأسد. وفي ملفّات المجلّة سلّطت الضوء على الحراك الثوري في الساحل السوري، وعلى الصعوبات التي يعانيها نتيجة وجوده في بيئة معادية اجتماعياً. كما نشرت تحقيقاً عن مجزرة البيضا، وفق روايات بعض الناجين منها وبعض منفّذيها. وهذا الأمر الأخير ،غير المتاح لوسائل الإعلام الأخرى للثورة، هو ما نجحت المجلة في تقديمه مراتٍ، عبر حوارات أجرتها. بطريقة غير مباشرة. مع بعض ضباط وجنود الأسد العائدين إلى قراهم في إجازاتٍ قصيرةٍ أو بقصد العلاج من إصابات. كما في سلسلة التقاطاتٍ بعنوان «صور من العالم الآخر»، ترصد برهافةٍ مشاهد متنوّعة من الحياة في الساحل على خلفية الحرب ووصول الجثامين.

ومن هنا، ربما يصحّ النظر إلى «سنديان» بوصفها الصوت العلوي الأكثر صدقيّةً لتمثيل مشاعر أبناء الساحل السوري المؤيّدين للثورة، رغم أن فريقها لا يقتصر على العلويين، إلا أنه يمثل همّهم بشكل أساسي. خاصّة وأن هذا الفريق مقيمٌ داخل سوريّة، ومعظمه يقطن ضمن الساحل، بخلاف التمثيل العلوي في المعارضة السياسيّة، الذي ربّما صار يشبه باقي المعارضين من طوائف أخرى، وفقد. إلى حدٍ كبير. الحساسيّة الدقيقة لمزاج بيئته الأم، نتيجة الإقامة الطويلة بعيداً عنها، أو لأسبابٍ أخرى.

مجلة «سنديان» شهريّة. غير مطبوعة، وتنشر فقط على صفحتها الخاصّة على الفايسبوك.

أرقام ليس لها معنى

لم يبق للشبيحة إلا التنجيم وقراءة فناجين القهوة ليثبتوا لأنفسهم أن قائدهم خالدٌ كما كان أبوه الخالد حافظ الأسد (قدست روحه الشريفة).

فجمال عبد الناصر ولد سنة 1918، وحكم 18 سنة (من عام 52 إلى 70)، وجاء إلى الحكم عام 52، ومات وعمره 52 سنة.

وحافظ الأسد ولد سنة 1930، وحكم 30 سنة (من عام 1970 إلى 2000)، وجاء إلى الحكم عام 1970، وتوفي وعمره 70 سنة.

والقذافي ولد سنة 1942، وحكم 42 سنة (من عام 1969 إلى 2011)، وجاء إلى الحكم سنة 1969، ومات وعمره 69 سنة.

مما يؤدي حتماً، وبالدليل الخرافي، إلى أن بشار الأسد، الذي ولد سنة 1965، سوف يحكم 65 سنة (من عام 2000 إلى 2065). وبما أنه جاء إلى الحكم عام 2000، فإنّ عمره سيصل إلى 100 سنة.. وربما أكثر.

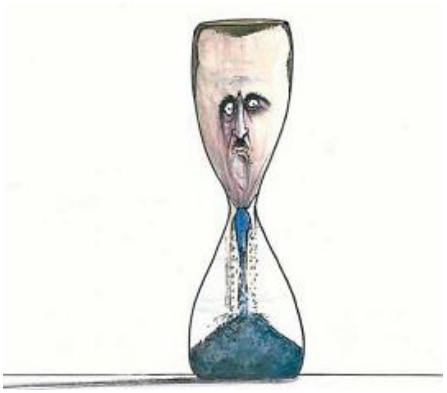

المكان: دمشق ـ مقهى الروضة.. الزمان: قبيل الضربة..

النادل الوحيد الذي قبل المخاطرة بالعمل يتعثر بكل شي رافعاً رأسه إلى السماء.. أبو حالوب على طاولته المعتادة.. طاولة أخرى عليها أربعة يافعين يقهقهون بصوت عالٍ ويلعبون الورق ويدخنون باستمتاع.. شبّيحان مرتبكان بلباس مدني يتكلمان واقفين باهتمامٍ بالغ:

الشبيح الأول: كلّها كم صاروخ وتمتصّا القيادة.

الثاني: قرد عم يقولوا صواريخ كر و ز..

الأول: قرد هنّ كم كروز معباية ونستون أحمر وأزرق ومارلبورو. ويا ويلاه لو نزلت فوق الضيعة.

الثاني: يا ويلاه...

صاحب المقهى يستمع بخشوع إلى صوت القرآن المنبعث من مذياعه الصغير.. كرتونة صغيرة بجواره كتب عليها: عاجل جداً.. المقهى برسم البيع..

كاميكاز بشار

تناقلت صفحات الشبيحة خبراً ظريفاً يفيد بتشكيل قوى جوية (كاميكاز) لضرب السفن الأمريكية التي ستهاجم المراكز العسكرية الأسدية. وأطلقوا على هذه العملية اسم (رياح الله).. تتألف هذه القوة من 13 طياراً انتحارياً سيضربون بطائراتهم 13 حاملة طائرات، فإن لم يجدوا فسفينة، فإن لم يجدوا فغواصة نووية. وهكذا سيهزم الأسطول الأمريكي السادس في البحر المتوسط، وسيتغير العالم. وستحقق نبوءة عضو مجلس الشعب (صاحب الكازية) في أن يصبح بشار الأسد قائداً للكرة الأرضية، بعد أن هزم، وبشطارة طياريه الثلاثة عشر، قائدها السابق أوباما.

ملاحظة: كتب أحد المعلقين الفيسبوكيين: هؤلاء البقر يظنون أن السفن الأمريكية ثابتة في مكانها وتنتظر انتحاري "رياح الله" إلى لحظة اصطدام طائراتهم بها.

وئام وهاب يعتلي الرتب القيادية ويقرّر نيابة عن دول المساومة

أخذ وئام وهاب قراراً بضرب إسرائيل بمئة ألف صاروخ في حال تنفيذ الضربة الأمريكية على مواقع النظام العسكرية. وأمر النظام السوري والإيراني وحزب الله بتنفيذ الهجوم على إسرائيل. ولعلّ هذا المخبول لا يدري ما قاله في مقابلة تلفزيونية اعتاد فيها مراراً على النباح والتهديد الأخرق، فكيف للنظام السوري أن يردّ على الضربة في إسرائيل وهو الذي التزم دوماً بحق الردّ في المدن السورية؟؟ وكيف لوليد المعلم أن يتسرع للهجوم على اسرائيل وهو الذي أثبت للكوكب بأسره نجاح سياسة ضبط النفس، التي طبّقها على نفسه أولاً من خلال خطاباته البطيئة وأسلوبه الخانق في الرد على أسئلة صحافيي الفضائية السورية ؟؟ وكيف لإيران التي باتت تتنصّل من اتفاقية الدفاع المشترك بينها وبين نظام الأسد أن تهاجم إسرائيل، الزميل النووي في المنطقة؟؟ وكيف لحزب الله، الذي سقطت هيبته الأمنية بعد تفجير الرويس في الضاحية، أن يضرب مفرقعاته النارية على حيفا وما بعدها؟؟ وأين روسيا والصين من كل هذه التهديدات؟؟ يبدو أنّ هذا الأحمق وهّاب قرر أن لا يخرج من عالمه الافتراضي المأزوم ولغته التشبيحية الهزلية.. وعلى نفسها جنت أنيسة..

كلما استغرب الجعفري قلق بان كيمون

يستغرب الجعفري دائماً.. ويبدو أن أكثر علامات الترقيم المستخدمة في أوراقه هي إشارة التعجب "!!!". كلما كلف بإلقاء قصيدة تأبينية في الأمم المتحدة يستغرب. اذا اتخذت دولة ما موقفاً ضد قيادته استغرب، وإذا لم تتخذ استغرب. آخر استغرابات الجعفري كانت منذ يومين على قناة الإخبارية، عندما استغرب كيف للدول الثلاث الدائمة العضوية في مجلس الأمن أن تتعامل إيجابياً مع تقرير لجنة المحققين في حين أنها نفسها متورطة، أو بعضها، في تزويد المجموعات المسلحة بالسلاح النوعي والكيفي، بما في ذلك الكيماوي!

الاستغراب الوحيد الذي لم يستغربه الجعفري هو موقف روسيا الأخير، إذ وقف أمام القضية التي كان من حقه أن يستغربها قليلاً ليقول إن التعاون السوري الروسي في الأمم المتحدة وثيق، وإن روسيا تتفهم الوضع بشكل جيد جداً، وقدّمت كثيراً من المساعدات على مدار الأزمة، وكذلك الصين.

بينما يتخذ بان كيمون، أمين عام الأمم المتحدة، موقف القلق حياة مجمل تطورات الوضع السوري. فهو قلقٌ قبل استخدام الكيماوي وخلاله وبعده، كما هو قلقٌ من الضربة العسكرية المتوقعة. وما إن يقلق بان كي مون حتى يسارع إلى عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن الدولي يقوم فيها الجعفري بالاستغراب. وبين قلق بان كيمون واستغراب الجعفري.. يجري وليد المعلم مؤتمراً صحفياً جامعاً بين قلق هذا واستغراب ذاك ببلاهةٍ نادرةٍ.

من صفحة شوفوني

صحّحني فيصل

ما إن نسي وليد المعلم أن هناك أوروبا على الخارطة، حتى نسي بعدها الجامعة العربية في ردّه منذ أيام على سؤال أحد الصحفيين عن موقف الجامعة.. ثم نسي موقف الخارجية التركية.. كما أوضح أن الموقف الروسي هو شأن روسي، وكذلك الأمريكي.. كما أنه لم يعرف ما طبيعة الرد السوري على التهديدات بالضربة.. ولم يسمع أصلاً باختراقات إسرائيلية جديدة للأجواء السورية... ويجمع من راقبوا مؤتمره الصحفي أن المشكلة لم تكن في المعلم ذاته بقدر ما هي في معاونه فيصل المقداد، الذي اتكأ عليه ليصحّحه ويذكّره بمجمل القضايا التي يريد مناقشتها.. وفيصل لم يصحّحه نهائياً، بل اكتفى بالإيماء برأسه، مستغرباً تعاطي معلّمه معه أمام الشاشات بهذه الطريقة.

هكذا تملأ المدرجات

لم تكن مصادفة من وليد المعلم في مؤتمره الصحفي أن ينتقي عدة صحفيين ليسألوه أسئلة مجهزة مسبقاً، فيتضح أن مجموعة منهم تعمل لصالح قناة واحدة، فإذا بحوالي خمسة صحفيين من الإخبارية السورية، وضعفهم من التلفزيون السوري، بالإضافة إلى آخرين من سانا، وغيرهم من قناة سما "الدنيا". بذلك يتم ملء الفراغات في القاعة، التي تظهر الحاجة ماسة اليوم لملء مدرجاتها، في ظل غياب مختلف المؤسسات الإعلامية عن الساحة السورية عامة وعن صالة وليدة المعلم خاصة.

هذا الحضور الإعلامي الكثيف في مؤتمر المعلم الصحفي، يوازيه أيضاً حضورٌ في فعاليات أخرى، فنية وثقافية واقتصادية وسواها. فتستطيع المؤسسة

من صفحة شعارات راسخات

الإعلامية السورية تشكيل جمهور من صحفييها في ظل غياب الصحفيين، بل وتشكيل اعتصام أو حتى مسيرة. وهو الإرث الذي تركه محسن بلال، وزير الإعلام الأسبق، والذي لم يدرك الكثيرون قيمته حتى الآن.. فوجود آلاف الموظفين في التلفزيون السوري والصحف الرسمية وسانا لم يكن عبثاً... إنه لتشكيل جمهور اللحظات الحاسمة وملء المقاعد الفارغة في الأزمات.

الرد السوري الصاعق

في الوقت الذي يتسوّل النظام السوري التأييد الخارجي لمنع الضربة، ويستغرب الجعفري كل شيء في الأمم المتحدة، ويستلقي وليد المعلم على عشرات الصحفيين في مؤتمر صحفي.. نجد من مؤيدي النظام من ينتظر الضربة ليرد. ولا يأبه الشبيحة مطلقاً باختباء دبابات جيشهم في الحرم الجامعي أو المدارس، ونقل فروع المخابرات إلى الأحياء المدنيّة، ولا بتصريحات قيادتهم المتتالية..

إذاً كيف سيردّون؟

تجيبنا هنا صفحات الفيس بوك:

. كل ما يقوم به الجيش السوري هو تمويه.

. الأسلحة السورية الخفية سوف تغير المعادلة.

. أوروبا ستدفع الثمن.

. إسرائيل هي هدفنا.

هم أنفسهم كتبوا بأن الكيماوي يمثلهم، ثم تنصّلوا من استخدام قيادتهم له عندما ضاقت الضائقة الدولية عليهم.

نساءٌ... للتاريخ

سلاف فواخرجي..
سلامة الصدر العاري

سلاف ليست غبية فقط، إنما شبيحة أيضاً، وهي تعتزّ بذلك. وهي المدللة جداً، ومنذ زمنٍ بعيدٍ، عند رؤساء الشعب الأمنية، وخاصةً سيادة اللواء علي مملوك عرّابها الأول. ويتداول بعض الخبثاء كلاماً آخر عن شخصية أرفع رتبة، ربما كانت بشار الأسد نفسه. غير أن هذا غير صحيح، لتعلق الرئيس المراهق بنموذج آخر لا تنتمي إليه الفنانة البدينة ذات الوجه الريفي والمزايا الفلاحية، مما لا يعجب القائد البطة، بحسب ما كشفته مراسلاته الإلكترونية مع شهرزاد الجعفري وغيرها من عشيقاته السريات ذوات الطابع الأوربي الرفيع.

فواخرجي، التي التقت برئيس النظام ثلاث مرات، خرجت بنتيجةٍ من لقاءاتها معه بأنه إنسان وطني ذكي همّه الأول سورية، فكرّست مجمل حواراتها الأخيرة للدفاع عنه.. ولبست البدلة العسكرية قبل أن يلبسها أخوه ماهر.. وهي تربط وجودها بوجود رئيسها فتقول عنه إنه: "رئيس عظيم وإنسان شريف. ولولا وجود القيادة القوية والجيدة لما كنا موجودين".

سلاف من أول الفنانات المطالبات بالحسم العسكري..

سلاف.. أما زالت عند وعدها.. بمواجهة أي تدخل خارجي بالصدر العاري؟

رغدة...
بالكيماوي يا سيادة الرئيس

لم يحتمل الأسد ما رآه من فنانته رغدة، فما إن طلبت منه استخدام الكيماوي حتى أمر باستخدامه.. ولعيونك رغدة..

أشهر مقولاتها هي: "أما آن للكيماوي أن يستشيط؟"، "علّقوا المشانق في الساحات.. نريد قصف كل منطقة فيها إرهابي، ولو مات آلاف المدنيين. كل من بقي من المدنيين في المناطق تلك، هو حاضن ومتواطىء".

بحّ صوت رغدة في الدفاع عن أسدها...وتطوّعت للقيام بكل شيء خدمة وترفيهاً عن جنود الأسد، من مسح أحذيتهم إلى الغناء لهم قبل عامين في ساحة سعد الله الجابري بحلب... ولكنها، وللتاريخ، لم تتحدث عن الصدر العاري. رغدة، رغم كل شيء، تحترم سنها.

سوزان نجم الدين..
اضرب يا بشار بلا رحمة

سوزان نجم الدين، الفنانة المعروفة تاريخياً بارتباطها بجهاز المخابرات السورية، وارتباط والدها الشاعر نجم الدين الصالح من قبلها بهذا الجهاز، والذي تقرب من حافظ الأسد حين كتب معلقة في رثاء ولده باسل، وتقرب من بشار حين رثى والده حافظ، وكان سباقاً في المباركة له بالجلوس على عرش العائلة... وكذلك كانت سوزان سبّاقةً في دعوة بشار إلى الضرب بلا رحمة.. رغم أن أهم مواصفاته، بالنسبة إليها، هي الإنسانية والرحمة!.. وهي الأشهر بقولها: "أنا مع بشار الأسد ليس لأنه رئيس، بل لأنه إنسان مثقفٌ ومتواضعٌ ومحبّ. وكل الدنيا تحسدنا عليه، فهو الذي قاد مسيرة تطور وإصلاح في البلاد".

اشتهرت سوزان بتقريع الفنانة أصالة لمعارضتها للنظام. وهي تؤكد دائماً أن أصالة من صنع النظام فكيف تقف ضده اليوم!... وتشير هنا إلى ميزتها عن أصالة بأنها استمرت بالولاء للنظام الذي صنعها. ولا بد أنها أيضاً لن توفر الصدر العاري على الشاشات.

فاديا خطّاب...
ثقةٌ لا تنتهي بالنظام

تكثر فاديا خطّاب من القسم بثقتها بالنظام.. وإنه صامدٌ.. وإنه لن يسقط.. وتقسم إن الأسد باقٍ رغم أنف الجميع... وتقسم إن المؤامرة التي تشترك فيها المجرات ستفشل وتنهض سورية الأسدية من جديد.

لا تختلف خطّاب عن نجم الدين كثيراً في قربها من المؤسسة الأمنية التي منحتها نقابة الفنانين، وجعلتها آمرة ناهية في الكثير من الشؤون الفنية، وفي تسخير النقابة كرقيب على الفنان السوري.

كانت فاديا (فهميّة خطّاب) تتصل بالفنانين الذين يؤيدون الثورة ويشاركون في المظاهرات لكي تلومهم وتخبرهم بأنها على معرفة بكل تحركاتهم.

أتُراكم نسيتونا في غياهب السجون؟

سؤالٌ يردده المناضلون في مصانع التعذيب. وكيف نذكرهم؟ أيكفي أن نقول: لهم الله! نعم، هذا ما تردده ألسنتنا وتعتصر عليه قلوب أمهاتهم. كثيراً ما يغيب عن ذاكرتنا ما يؤول إليه حالهم؟ أين هم؟ كم عددهم؟ ماذا يأكلون؟ كيف ينامون؟ كم بقي منهم؟ كيف يدفن من استشهد منهم؟ والسؤال الأهم، متى ستنتهي مأساتهم؟ فإذا نظرنا من ثغرة صغيرة على أحد السجون سنرى شباب سوريا يطلبون الموت حباً بالنجاة من حقد عصابة حاكمة، إذ يدخل عليهم جلادوهم كأنهم وحوشٌ خلقت لتفترسهم، يلفقون لهم تهماً عجيبة منها التآمر على البلاد أو الالتحاق بالقاعدة في أفغانستان، وتهماً أخرى لا يمكن أن تذكر. وعند أول تهمة توجّه للمناضل تبدأ المعركة بين الأحياء والميت. يقفون وتحت أقدامهم يلفظ المناضل الرافض أنفاسه.

يذكر السيد (س)، الذي كان معتقلاً، أنه عندما تبدأ جولة التعذيب تتوالى عليه ضربات السنديان وهي تدك جسده المرهق، ومن دون انقطاع يناوب وحش آخر يحمل أداة موت تسمى بالكبل الرباعي، اذ يريد السجان إن تختلط عظام المعتقل مع لحمه. وما أن ينهك ذلك الجلاد حتى يناوب آخر بأداة أخرى على جسد ذلك الشاب أو الطفل.

والأرجح أنه لم يكن لهواة الطغيان هدفٌ من التعذيب، وإن كانوا يريدون أن يعترف المعتقل بشيء يرضي غرورهم. والأصعب إن لم يعترف، فسيؤخذ في جولات أسطورية من التعذيب. إن هذا الأسلوب الوحشي في التعامل، كما ينقل لنا من الذين أفرج عنهم، ناجمٌ عن حبٍ لممارسة هذا النوع من الإجرام، فهم متعطشون للدماء ولمزيد من زهق الأرواح، ولرؤيتنا في أضعف أحوالنا.

يقول أحد المعتقلين المفرج عنهم إنه كان يُساق إلى منصة جهنم، حيث يترك عدة أيام مشبوحاً من دون أكل أو شرب. ومن جولة الشبح والصلب يؤخذ إلى زنزانة منفردة. وهناك تبدأ دورة أخرى وأسلوب منظم للتعذيب، من الصعق بالكهرباء إلى الدولاب. ومن يرحمه الله يذهب إلى الموت.

وإذا سألنا عن حال المعتقلين، كيف ينامون؟ فالجواب أقسى من السؤال. هناك يتزاحمون فوق بعضهم البعض. منهم من ينام من شدة الألم. وآخرون يصارعون الحياة بين مطرقة الجلاد وسنديانة الزمن. وربما يُحسب الشخص منهم أنه نائم عندما يغمى عليه من شدة الألم. فهم لا يعرفون متى يغفو الليل ومتى تفيق الشمس. حالهم كالأموات ينتظرون مراسم الدفن. أما ما يقدّم إليهم من طعام فهو لا يذكر، وهو لأجل استمرار معاناتهم فقط.

رقية البشير

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

مكتب عين المدينة بدير الزور بعد القصف